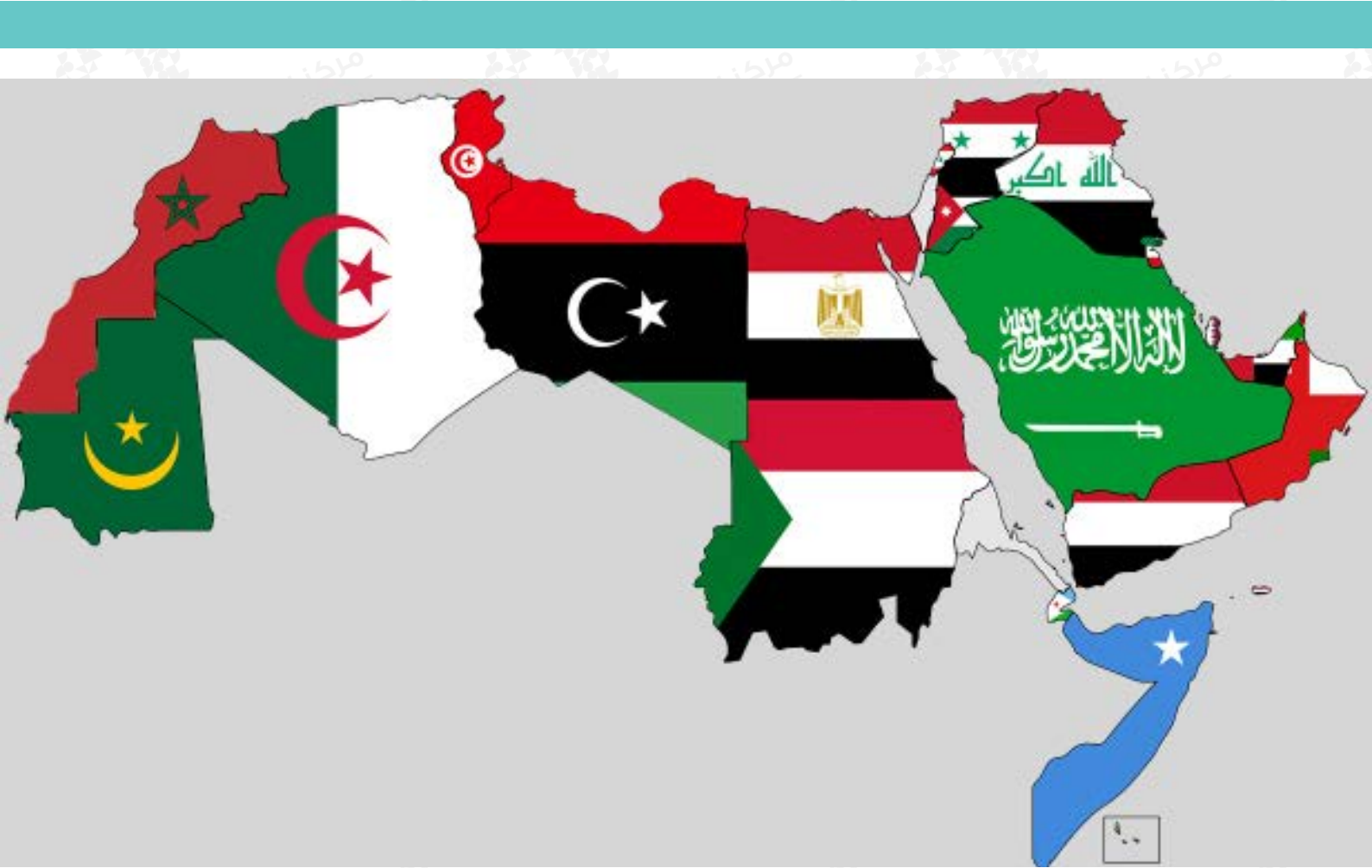


مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies



أوراق سياسية

سهام الدريسي
وحدة الدراسات والابحاث

القومية في المنطقة
العربية الواقع.. والمستقبل



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

مقدمة

عقدت مؤخراً القمة العربية التي استضافتها الأردن في 29 مارس/آذار 2017 لتؤكد تعدد التحديات التي تهدد الاستقرار السياسي والمجتمعي في المنطقة؛ بداية من خطورة التمدد الإيراني، إلى انتشار التنظيمات الإرهابية، والجمود المتواصل في المسألة الفلسطينية، بالإضافة إلى ضعف مستويات التعاون الاقتصادي والأمني بين الدول العربية رغم مبادرات التعاون العربي التي تقودها المملكة العربية السعودية.

وبناء على هذا لا نستطيع إغفال أن حالة انعدام التوازن الاستراتيجي، والاقترال العربي-العربي، تعبير واقعي عن تراكمات تاريخية وثقافية لانحرافات القومية العربية، وعبثية شعاراتها التي أورثت المنطقة مقومات الانغلاق الهوياتي والعنف السياسي لأكثر من نصف قرن، بشعارات دعائية وشعبوية؛ من قبيل التحديث، والتحرير من هيمنة الإمبريالية الغربية، ومناهضة الصهيونية، وبناء المشاريع التنموية، لتخفي أنظمة بوليسية واستبدادية انتهجت الزعامات (القومية) للاستقواء على شعوبها وجيرانها العرب.

إن قراءة الواقع الحالي للمنطقة العربية من خلال قضايا الحروب الأهلية واللجوء والإرهاب، التي طغت على هذه القمة الثامنة والعشرين، يدفعنا إلى التساؤل عن هشاشة مشروع القومية العربية رغم كل ضجيجها الأيديولوجي، ومأزق الصراعات الطائفية التي زرعت بذورها بخطاب وممارسات تعزز التعصب العرقي، وتهميشها أو إلغائها للرابط الإسلامي ذي العمق التاريخي لدى شعوب المنطقة، ومن ثم تسعى هذه الورقة البحثية لدراسة تطور فكرة القومية العربية، وشدة ارتباطها بالتغيرات السياسية المستحدثة في المنطقة العربية؛ ما قبل الاستقلال ثم خلال مرحلة بناء الدولة الوطنية الحديثة، بالإضافة إلى تدارس مستويات حضورها في السياق الراهن، وتفاعلها مع بقية الأيديولوجيات السياسية والدينية.

من هذه الزاوية يمكن تأكيد أن استقراء الصيرورة التاريخية للوعي القومي تتيح لنا إعادة صياغة مفاهيمها ومقولاتها الرئيسية، بحيث لا تكون مرجعياتها ومواقفها فقط موضع التساؤل، بل لتفحص مستويات انحسار الأفكار القومية

واستمراريتها في هذه الظرفية الحالية للمنطقة العربية، ما بعد اندلاع موجة الثورات العربية والمسارات المختلفة للتعاطي مع المطالب الشعبية بالمواطنة والديمقراطية.

تتسم المرحلة الحالية بتصاعد النزاعات الطائفية، وتشردم بعض الدول العربية (سوريا- ليبيا..) نتيجة لتحولات سياسية تهز المنطقة منذ الغزو الأمريكي للعراق ٢٠٠٢، وتزايدت حدتها بعد سقوط العديد من الأنظمة الحاكمة ٢٠١١، لذلك يبدو أنه من النجاعة العودة إلى تاريخ القومية العربية لتحليل تخبطات الواقع الحالي، واستشراف المستقبل بعيداً عن فخ الأسطرة أو التخوين.

وتظهر أهمية هذه الورقة في سعيها لإعادة استقراء مرجعيات التيار العربي القومي، ومستقبله السياسي في المشهد الإقليمي، رغم ما ظهر جلياً من العزوف الشعبي تجاه مقارباته، خاصة بعد ظهور الأحزاب السياسية الإسلامية في العديد من الدول العربية؛ مثل مصر وتونس والمغرب، بعد ٢٠١١. وتأكدت حقيقة احتضار المشروع القومي مع اندلاع ثورات الربيع العربي- على الرغم من التشرذم الذي تسببت فيه- ضد قيادات إقصائية اضطهدت شعوبها تحت ألقاب (زعيم الأمة) و(الأب الخالد) أو (الزعيم القائد)، التي لطالما شرعنت لنظمها الاستبدادية بشعارات تتلاعب بالهاجس العربي، خاصة في سوريا وليبيا، ومن ثم فمن المهم التعمق في الأسباب التي أدت إلى أفول الفكرة القومية وتشكيلاتها السياسية، أو (احتضارها)، ومراهنة الشعوب العربية على خيارات بديلة وحيوية (دول ذات نفوذ إقليمي/ أحزاب إسلامية..) لتحقيق مستويات متقدمة من التعاون، وإنجاح الاستراتيجيات الكبرى للأمن القومي، خاصة في ظل تحديات الإرهاب، وتفكك الدول العربية، وسقوطها في النزاعات والحروب الأهلية، وستكون دراسة القومية العربية من خلال المسح التاريخي لأبرز أحداثها ومحطاتها المفصلية.

تنقسم هذه الورقة إلى أربعة محاور:

- أولاً المقدمة التاريخية للقومية العربية،
- ثانياً الأسس الفكرية والإيديولوجية لهذه الظاهرة السياسية.
- ثالثاً فنعرض للواقع البراغماتي للقومية العربية،

- وأخيراً نتلمس حاضراً هذه القومية ومستقبلها في ظل إرهابات التغييرات الجيو-سياسية الحالية.

المحور الأول: لمحة عامة عن تيار القومية العربية

تتسم ولادة القومية العربية برغبة في التخندق السياسي ضد أشكال متنوعة من التبعية، وبوصفها حركة جديدة ومضادة فقد سعت إلى تعزيز السيادة القومية على المنطقة العربية؛ من خلال إحياء قيم الانتماء للهوية الجمعية، وتحديد تخومها وشروط تمايزها، ولكن في الغالب انفرطت وتقهقرت إلى إنعاش معايير الانتماء إلى روابط بدائية تتعارض مع روح الإسلام، كما تتنافر مع مبادئ المواطنة الديمقراطية.

يمكن القول إن إطفاء الشعلات المتبقية من شعارات الوحدة العربية كان إحدى إرهابات الثورات العربية ٢٠١١، وما رافقها من سقوط لأنظمة، وصراع مستميت على السلطة بين الحكام الجدد والقيادات القديمة. وبالتأكيد ليس بالإمكان التغافل عن موجة الاستنكار والتملص من الهوية العروبية على مواقع التواصل الاجتماعي والمنابر الإعلامية، خاصة بسوريا، وأيضاً بالعديد من الدول الأخرى، والالتجاء المحموم لاستحضار الأصول الفينيقية أو الفرعونية.. إلخ.

تأسيساً على هذا الارتداد في التمثل الرسمي والشعبي للذات الوطنية، التي لطالما جرى تذويبها وتحنيطها في التركيبة الأيديولوجية لشعارات القومية العربية ومقولات الممانعة، ينبثق التساؤل التالي: أيعكس هذا التسابق لتجاوز العمق العروبي وإلغائه حقيقة إخفاق التجربة السياسية للقومية العربية أم إعلاناً عن نهاية صلاحيتها (كعلامة تجارية) ما عادت تخدم صورة أنظمتها ومصالحها؟

من الواضح أن واقع الصراع السياسي والعبثية يدفع بكثيرين للتعصب ضد (العروبة)، وإعادة إنتاج المعادلات الخاطئة ذاتها التي تبناها القوميون عندما انغلقتوا سياسياً وثقافياً عن واقع السيولة والتنوع العرقي الذي يتوحد داخل رحاب الإسلام أو خيار التعايش مع الإسلام. ولذلك وفي خضم هذا الواقع المأزوم داخل المنطقة العربية تشدد الحاجة إلى المتابعة الاستقرائية لمضامين

القومية العربية وأشكال توظيفها سياسياً داخل سياقاتها التاريخية؛ ليتسنى لنا بلورة رؤية واضحة وعميقة عن معوقات التعاون العربي ومصداقية مقولات التكامل القومي (العروبي).

- تعريف المفهوم

إن عملية فهم مسار تشكل القومية العربية في السياق الحالي من الانغلاق الحاصل على تفاصيل التمايزات العرقية أو المذهبية تفترض التساؤل حول التحديات والمعوقات التي أنتجت هذا الفشل التاريخي المبكر لفكرة الدولة-الأمة، رغم توافر جميع مقومات التماسك القومي؛ بداية من وحدة المرجعية الدينية، مروراً بمرتكزات الهوية الثقافية والاجتماعية، وصولاً إلى وحدة الجغرافيا واللغة.

ينبغي علينا أن نؤكد أن مفهوم القومية العربية- مثل مصيرها- ما زال محل جدال على الرغم من التوافق النسبي حول تعريف الباحث رشيد خاليدي (Rashid Khalidi) للوحدة العربية أو القومية: "الفكرة أن العرب شعوب تجمعهم روابط خاصة مثل اللغة والتاريخ والدين، لذلك تتظيمهم السياسي يجب أن يعكس هذه الحقيقة"¹. وكما سبق أن ذكرنا فإن فكرة القومية العربية تشكلت بصفحتها حركة سياسية مضادة لكل أشكال السيادة الأجنبية (العثمانية/ الغربية)، تُسلم بمتانة مقومات الوحدة دون السعي لبناء الدولة القطرية، وهو ما يعني بناء الوعي القومي وشعارات الانتماء بشكل عكسي لم يرسخ فيما بعد سوى أيديولوجية الصراع وسياسات التقزيم والإقصاء لكي "يتوقف العرب أن يكونوا عرباً"، على حد تعبير الباحث عزمي بشارة². وقد أدى هذا الضمور لدور الدولة القطرية، وانحسار أيديولوجيا القومية العربية لدى بعض الأحزاب السياسية، إلى جملة من المغالطات المفهومية والمنهجية التي سرعت في أفولها، رغم استماتة البعض في الدفاع إعلامياً عن استمرارية أنظمة تخريبية بشعارات العروبة والتكاتف والوحدة إلى حد الآن.

• أولاً: ومن هنا نلاحظ أن مستوى المغالطة المفهومية بدأ مع رواد النهضة العربية، بقصد أو دون قصد، حيث دفعت الحاجة إلى الهروب من واقع التهميش والإقصاء في ظل الحكم العثماني (الإسلامي) إلى الالتفاف حول مشترك (العروبة) على حساب الرابط الديني، وهو ما أدى إلى مزيد من الانغلاق على الأصول

التاريخية والخصائص اللغوية. هذا الانسحاب الكلي نحو تعظيم الرابط اللغوي أو الثقافي والجغرافي لصناعة أمة موحدة كشف عن عمق المفارقة التي عاشتها النخبة العربية، وشدة تأثيرها في تحديد ملامح الهوية (الضدية) والتمايز عن نظيرتها الإسلامية (العثمانية) بعد تعمق الإحساس بالصدمة الحضارية من جراء حملة نابليون على مصر والشام، وتغلغل الجمعيات التبشيرية، وسياسات التتريك التي انتهجتها الأطراف التركية المتطرفة.

تمثلت أهم مميزات وشروط هذا النموذج العروبي في بناء وحدة على المستوى السياسي والجغرافي بين مختلف الشعوب العربية بموجب سمات التقارب الثقافي ومشاركات المخزون التاريخي والشعور الجمعي للوحدة على أساس اللغة والمعتقد الديني^٤.

وفي ظل هذا السياق التاريخي ضُخمت الذات العربية، وابتدع التطوير الدوغمائي للذات العربية المنسلخة/ المتخلية عن ماهيتها الإسلامية، كما يبدو جلياً في مقاربة ميشال عفلق؛ «القومية (الأمة العربية) كانت أبداً موجودة، وإن اختلفت وضوحاً وضعفاً، وكانت أبداً تتمتع بالحد الأدنى من المقومات الضرورية التي كونتها اللغة والدين والتراث، وهي الآن ترتفع فوق هذه المقومات جميعاً»^٥.

• ثانياً، يضعنا الخلل المفهومي السابق أمام حتمية المغالطة المنهجية، حيث حرص أغلب مفكرو التيار القومي على إقرار المفاضلة بين المشترك العروبي والرابط الإسلامي، أي تبني نزعة تضخيم دور اللغة العربية، واعتبارها الحامل الرمزي لأمجاد الأمة العربية مع تجاوز ضمني لفضائل الإسلام على ترسيخ قيم الوحدة والتآلف وتسويد المسلمين^٥.

إن محاولة محاكاة النموذج الأوروبي الذي قطع مع هيمنة الكنيسة ورجال الدين بإنشاء قوميات سياسية، جعلت من النخبة المثقفة العربية والقيادات السياسية تميل إلى إسقاط المنوال العلماني والحدائي على مجتمعات ذات بنى فكرية وخصوصيات اجتماعية مخالفة، ومن ثم أصبحت المفارقة القائمة هي التخلي عن الهوية الجامعة (الإسلامية) لحساب النمط العرقي (العروبي) المبني تلقائياً على ثنائية الاندماج والإقصاء مع بقية الأعراق أو الأقوام

المتحدثة باللغة العربية، لإعادة إنتاج أمجاد الماضي التي واقعياً ما كانت لتتحقق لولا انتشار الإسلام.

يمكن القول إن منهجية التخلي عن سمات الانفتاح، واللجوء إلى بدائل أكثر انغلاقاً لم يكن فقط للتعبئة الشعبية من أجل تثبيت (عروبية) الهوية، وتثوير الحماسة العاطفية للانتماء القومي عند أوساط النخبة والعامّة خلال المرحلة الاستعمارية، بل أيضاً خروجاً/ تجاوزاً للمسيحيين العرب- بوصفهم أبرز المنظرين لفكرة القومية- عن علوية النموذج الإسلامي بهدف التحرر من الحكم العثماني والسعي لإقامة دول عربية ذات نظام علماني⁵.

وجملة هذه المغالطات تؤكد أن القومية العربية قد اختزلت بحيث باتت أداة للصراع مع الآخر المهيمن سياسياً، لا لبناء الدولة من ناحية، وزُجَّ بها في تجاذبات إيديولوجية بين مناصري المرجعية التراثية والداعين للحدثة الغربية (ثنائية الحدثة والأصالة) من جهة ثانية. وفي الحقيقة، فقد أنتج هذا التجاذب الفكري والسياسي تنوعاً وتناقضاً في مقاربات وسياسات الارتقاء بالمنطقة العربية، بالإضافة إلى الديناميكية والمرونة داخل الدوائر النخبوية ذات المرجعيات المتنافرة، للمساهمة في تشكيل الوعي القومي.

- ولذلك لا بد من التأكيد أن التحركات النخبوية (سياسي/ثقافي)، والتوجه الجدي والمنظم للترفيغ من درجات الوعي الوطني (الانتصار لقضايا الاستقلال) لدى العديد من المثقفين والأحزاب وحركات المقاومة المناهضة للهيمنة الاستعمارية وممثليها الحكوميين، لم تكن حكراً أو محكومة فقط بالمقاربة القومية، بل أيضاً بالرؤية الإسلامية السلفية، ومن ثم ففي بدايات الحراك التحرري ضد هيمنة الخلافة العثمانية ثم ضد الاستعمار الأوروبي تقاطعت أنماط التفكير النخبوي ذي المرجعية القومية، مع تفكير بعض علماء السلفية المنخرطين في حراك النهضة العربية، من خلال الالتقاء حول الجوهر الحيوي المتمثل في مواجهة الهيمنة الأجنبية (الإمبريالية الغربية/ إسرائيلي) المغتصبة للأراضي العربية، والتشديد على التوافق بين تعاليم الإسلام والممارسات أو النظم الدراسية والإدارية والقانونية المعاصرة¹.

- لذلك من المهم أن ننبه على أن المقاربة الأولى للقومية العربية لم تكن

مقبولة في ذات التوجه أو واضحة المعالم، بل كانت تعكس نوعاً من المرونة الفكرية وتجسد أبعاداً إصلاحية (تصحيح المسار) خاصة مع المفكرين المتشبعين بالفقه مثل (الكواكبي)، حيث توحدت المطالب بخصوص إعلاء قيمة اللغة العربية، مع إعادة التعريف بمقاربات الإسلام حول المسائل الاجتماعية والسياسية. ونجد عند هذه البدايات تلازماً بين الحراك التحرري من الهيمنة الأجنبية وواجب إنقاذ (الإسلام) ليس فقط بصفته ديناً بل أيضاً بصفته مشتركاً أساسياً يوحد الأمة من أنماط تفكير منتشرة عززت التخلف والضعف الحضاري.

تعامل المفكرون الإصلاحيون، مثل محمد عبده ورشيد رضا ثم حسن البنا والمودودي، مع هذه النزعة القومية بالدعوة للرجوع إلى روح الإسلام، لا الاكتفاء باستغلال شعاراته لتخدير العقول واعتباره مجرد ظاهرة تراثية ذات بعد ثقافي. ما لبثت أن انقسمت النخبة المثقفة بين تيار (عروبي قومي علماني) وتيار (إصلاحي إسلامي) بعد صدمة سقوط الخلافة العثمانية والخلافات الحاصلة حول نظام الدولة (مدني/ ديني)، وأيضاً المرجعية التشريعية (الشريعة/ القانون الوضعي).

• الحقيقة أن القومية بوصفها موقف انتماء وولاء لمجموعة كبرى تتشارك في اللغة والجغرافيا والثقافة والدين، فإن تأسيسها يقوم على جملة من السرديات المنبثقة من وحدة الهوية والتاريخ. بالنسبة إلى مفهوم (العروبة) في بداياته فقد اختلط الطموح إلى إنشاء دولة عربية مستقلة في قوة المرجعية الدينية الموّحدة فعلياً للمنطقة، خاصة خلال الثورة العربية الكبرى ١٩١٦، بمعنى أن هذا التحرك المسلح بقيادة الشريف الحسين بن علي قد جمع بين بلاد الشام والعراق والحجاز ضد ما عدّوه هيمنة عثمانية واهتزازاً لشرعية حكمها على المنطقة، واحتكارها للوصاية السياسية على الإسلام. ومن هذا المنطلق كانت هذه الثورة المسلحة أول تجليات المشترك الديني والتاريخي واقعيّاً، الذي بدأ الحشد له من خلال فرضية إعادة توحيد المنطقة العربية، واسترجاع أمجاد الإمبراطوريات الإسلامية من خلال المشروع القومي العروبي، الذي كان من أبرز رموزه الفيصل بن الحسين^٧.

• ولكن اللافت للانتباه أن المعطى الديني بوصفه المشترك الأكثر تغلغلاً

في البنى الاجتماعية والعقائدية لمجتمعات المنطقة العربية لم يكن أولوية لدى القوميين مثل ميشال عفلق أو ساطع الحصري أو زكي الأرسوزي، وكثيرين غيرهم، بداية من ثلاثينيات القرن الماضي، وبدأت تتزايد الانتقادات المستكرة لانغماس مفكري وقيادات القومية في النموذج الاشتراكي الذي يتبنى مواقف ريبية من التدين.

لم يحرص مثقفو وسياسيو الفكر القومي (على عكس رواد النهضة) على استحضار المعطى الديني، بل إنهم أقصوه من شعاراتهم؛ على غرار الشعار الذي رفعه ميشال عفلق: (وحدة-حرية-اشتراكية). إذاً من هذه التفاصيل والتوجهات ازدادت حدة المواقف المنتقدة لهذا الانحراف القومي عن علوية الإسلام، ليس فقط بسبب الوعي المترسخ لدى أغلب علماء الدين ومفكري التيار الإسلامي بالتمسك الشعبي بالدين بوصفه أسلوب حياة، بل لأنهم يراهنون أيضاً على متانة (الأخوة الإسلامية) بصفاتها قاعدة ثابتة لإدخال إصلاحات ثورية وجذرية على المجتمع والدولة، ولا سيما أنهم يتوجسون من هذا التقارب بين المعسكر السوفييتي الاشتراكي والقوميين العرب؛ لما تمثله مواقفهم المفارقة من تهديد لوحدة الصف والمنهج الإسلامي⁸.

ويبدو أن القوميين اتخذوا من الصراع مع الاستعمار الأجنبي ومناهضة واقع التخلف، الأرضية الأولى للعزل التدريجي للمعطى الديني، والحجة لتبرير التوجه (البراغماتي) نحو التنمية (الوطنية) التي اختزلت في الولاء التام للقيادات الحاكمة (حزب البعث/ جمال عبد الناصر..)، والخضوع لسلطة الدولة (البوليسية) التي حرصت على تصفية المعارضين والتكيل بهم، خاصة الإسلاميين.

من هذا المنطلق صارت القومية العربية، بصفاتها تشكلاً أو مشروعاً سياسياً، تناهض وتتناقض مع حاكمية الإسلام وتعاليمه التي تنهى عن التعصب العرقي (العرب أو غيرهم)، وتأجيج شحنات التفرقة في مجتمعات تتميز بالتنوع والتعايش بين العرب والأمازيغ والآشوريين وأهل الكتاب.. إلخ، حيث تدين جميعها لسماحة الإسلام والرسالة المحمدية المناهضة لممارسات التفرقة والمفاخرة والإقصاء.

منذ تلك المرحلة اتضحت لدى العديدين أن القومية العربية لم تعد الخيار الصائب لبناء دولة الاستقلال، ولا يمكن الجمع بين شعوب المنطقة العربية على مبادئ استثارة النعرات القومية وثقافة التعصب (العروبي) الذي يقلد ويتقمص أفكاراً ذات مرجعية غربية وصدامية مع رسالة الإسلام وتعاليمه.

• في الصيرورة التاريخية لتطور الهوية العربية كان للدين الإسلامي دور مفصلي في توليد مفهوم (الأمة) خياراً سياسياً واجتماعياً حول السلاطين بسط نفوذهم، وبناء الإمبراطوريات مترامية الأطراف، ولكن لم ينحسر هذا المفهوم في المجموعة الإثنية العربية (قبائل شبه الجزيرة العربية) بل أُسس من منطلقات اندماجية تجاوزت حدود وحدة اللغة والمعتقدات الدينية والتقاليد لتسمح باحتواء تنوع عرقي وديني يتشارك في بناء الخلافة الإسلامية.

علينا هنا أن نقر أن الترادف بين مفهوم الأمة والأصل العرقي (العربي)، كان ضرورة تاريخية ترتبت عن لغة القرآن العربية وانتشار الدين الإسلامي، حيث صارت لفظة (العربي) و(العروبة) و(التعريب) ممثلاً معنوياً لوصف الانسجام الحضاري بين عدة مجموعات عرقية (من بلاد الشمال إلى شمال إفريقيا) موحدة تحت راية الإسلام، لكن أغلب القوميون رأوا أن الدين - بوصفه تعاليم وأخلاقيات منظمة للمجال الاجتماعي والسياسي - غير مهم؛ لا لأنهم التجؤوا إلى المرجعيات الماركسية والعلمانية، بل لأن أغلب المنظرين للقومية العربية كانوا مسيحيين أو مسلمين متأثرين بالقوميات الغربية.

من الواضح أن القوميون العرب أرادوا اقتباس نموذج القومية الأوروبية دون تطويعها لخصوصيات المجتمعات الإسلامية، ومن هذا المنطلق بدأت عملية الترويج المستتر ثم العلني لمواقفهم المستبعدة للمعطي الديني، معتبرين إياه عائقاً في وجه تحديث المجتمعات العربية، ومعزراً لتقاليد وممارسات (الرجعية).

• ويمكن الحديث هنا عن بداية تطرف القومية العربية حيث استبدلت بالديني القومي، واستغنت عن الشريعة الإسلامية لحساب القوانين الوضعية ذات المرجعية الغربية. كان من المنتظر أن يسعى القوميون لتعزيز مفاهيم المواطنة والاندماج داخل الدولة لتكون بديلاً عن الاحتكام للمنظومة الشرعية، ولكن سرعان ما تحولت إلى أيديولوجيات شمولية تهدد التماسك المجتمعي والاستقرار

السياسي للمنطقة. انصب جل هم القوميين في علمنة الهوية القومية العربية وفصلها عن العمق الديني، حيث تصاعدت إجراءات التضييق على الإسلاميين خاصة بعد ظهور حركة (الإخوان المسلمين) في مصر سنة ١٩٢٨.

وأخيراً؛ من المهم إعادة التأكيد أن مقاصد مفهوم القومية العربية وأسسها ما زالت رهينة التشتت الاصطلاحي مع مفاهيم العروبة والقومية الإسلامية، وأيضاً الهوية القطرية؛ إذ من الواضح أن مصطلح (القومية العربية) قد جرى تداوله بكثرة في الملتقيات الأكاديمية والخطابات السياسية، وأيضاً في الفضاء العام، وهو ما زاد من التشتت الاصطلاحي وكثرة التعريفات، بالإضافة إلى (الحساسية المفرطة) التي تميز مناصريها عند التعرض بالنقد لأحد رموزها أو أحداثها المفصلية.

مع ذلك يمكن أن نعتمد تعريف المفكر Dawisha الذي يرى أن العرب يتشاركون اللغة ويمثلون وحدة ثقافية تمكنهم من الانسجام والتعايش داخل دولة واحدة رغم التنوع المذهبي والطائفي^٤.

إن الضبط الصارم للمصطلحات صعب، ولكن يمكن القول إن القومية تتجمع ضمنها مجموعة إثنية تتشارك العديد من المشتركات الثقافية مثل اللغة والقيم المجتمعية والذاكرة الجمعية، بالإضافة إلى الارتباط الروحاني والتاريخي بالأرض التي يعيشون عليها.

- النشأة الأولى للقومية في المنطقة العربية

تُعد القومية ظاهرة سياسية لطالما حددت أنماط الفعل السياسي وأشكال التعاطي مع السلطة في العالم الغربي خلال القرنين الماضيين، حيث أصبح مفهوم الولاء للوطن من أبرز ملامح تعبئة الشعوب وحشدتها للدفاع عن الدولة أو عن الأمة، ويجدر بالذكر أن هذا الإحساس بالولاء والوطنية من الصعب تفسيره علمياً وعقلانياً، حيث يتمظهر، في الغالب، بصفته قوة وجدانية غير قابلة للتعليل أو التفسير.

• أولاً؛ يمكن القول إن التقاطع بين المنطق السياسي للمستعمر الإنكليزي والوعي القومي لدى جزء من الشعب العربي أدى إلى انحسار النفوذ العثماني وانهيائه داخل المنطقة العربية، الذي ما لبث أن تغول وتمرد على الأطماع

البريطانية وأجنداتها الداعمة لإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين. واهتزاز شرعية حكم الخلافة العثمانية لدى قيادات الثورة العربية الكبرى والعديد من المفكرين عند بداية تشكل الوعي القومي العربي يعود بالأساس إلى تنافر بين الهوية التركية (العثمانية) والهوية الإسلامية (غير العثمانية)، إضافة إلى التناقضات والصراعات داخل الهوية التركية ذاتها التي أدت إرهاباتها إلى سقوط حكم الدولة العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية سنة ١٩٢٣ برئاسة زعيم المقاومة الوطنية (حرب الاستقلال ١٩٢١) مصطفى كمال أتاتورك.

خلافاً لما يعتقد؛ لم تؤسس الخلافة العثمانية على أسس الهوية الوطنية والاندماج بقدر ما كانت نموذجاً للسيادة والمركزية السياسية، على الرغم من أنها كانت الراحية للقومية الإسلامية، خاصة في عهد السلطان (عبد الحميد)، لذلك رأى العديد من الباحثين مثل (Christine Philliou) أنه لم يكن من الصعب تثير المخزون الثقافى (العروبة) والمشارك الدينى (الإسلام) لدى أنصار التحرر (العروبي) ضد قيود الحكم التركي في المنطقة العربية⁹. وفي هذا السياق بالذات تم التشديد على انعدام مفهوم (الوطن) في الاندماج العربي داخل الإمبراطورية العثمانية التي كانت تجتمع ضمنها وتعايش العديد من الأقليات العرقية والمجموعات الدينية غير المرتبطة بهوية وطنية عثمانية، بل حافظ أغلبها على عاداته وتقاليده دون انصهار ثقافى أو شعور بالانتماء الوطنى إلى إدارة الحكم بإسطنبول، ومن ثم شاع الترويج للهوية العربية بصفتها خياراً شعبياً وملاذاً لمجتمع المنطقة، ودافعاً للخلاص من الاضطهاد العثماني الذي صار يرى العرب في سلطته المركزية قوة أجنبية استبدادية حريصة على استغلالهم وتهميشهم، حسب رأيهم. لكن من المهم القول إن مفاهيم القومية العربية لم تتطور بوضوح إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، فحتى الثورة العربية الكبرى عبرت أكثر عن حاجة ماسة إلى سيادة أكبر وتمثيلية مؤثرة داخل الدولة العثمانية، لا تفكيكها والاستقلال التام عنها.

• ثانياً؛ ويمكن القول إن سمة عدم الاستقرار، والتطور، وتغير مقومات الهوية، ميزة طبيعية وواقعية تطراً في كل المجتمعات؛ بسبب شدة ارتباطها وتفاعلها بعلاقات القوة في تمثلاتها وأشكال تعبيرها. وقد أسست حركة القومية العربية بصفتها شكلاً من أشكال الاحتجاج النخبوي الذي يدعو إلى

التغيير الجذري والشامل على أسس الأفكار العلمانية والتقدمية، كما يؤكد ذلك الباحث (Ernest Dawn)، وبهذا تقاطعت مواقفهم مع البيروقراطية الأوروبية، والصرامة العقلانية (تهميش الدين)، والنظام السياسي والاجتماعي الاشتراكي، بالإضافة إلى الوصاية النخبوية على الإصلاحات وتسيير الشأن العام^{١٠}. ولذلك فإن مما لا يدعو إلى الشك أن منطق القومية العربية يجسد تصاعد منسوب أفكار الحداثة والتكيف الهجين مع أنظمة سياسية مستحدثة للدولة ذات بنى إدارية مستوحاة من النماذج الغربية؛ مثل المؤسسات، وتنظيم العمل الحكومي، والتعليم، والوزارات.. إلخ.

لا يمكن التعرض لهذا التنافر بين القومية العربية والدولة العثمانية دون تأكيد وجود مواقف مساندة تبناها مفكرون، مثل رشيد رضا ومحب الدين الخطيب، للإصلاحات السياسية وإحياء التراث العربي داخل الدولة العلية بعيداً عن أجندات الانفصال، التي كانت تُعد جزءاً من مؤامرة لتقويض عزة المسلمين.

• ثالثاً؛ في مرحلة مبكرة من بزوغ الفكر القومي، تصدى العمل (الثوري) فقط للأطماع التركية، التي تواصلت بعد وصول كمال أتاتورك إلى الحكم ومحاولاته للاستيلاء على آبار النفط العراقي، لتتقسم المواقف بين مساند موجة التغريب العلماني وبين داعم لتقويض الوصاية الأوروبية الاستعمارية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لا لإرساء نموذج الحكم الإسلامي بل للذوبان في المشروع الاشتراكي (الماركسي). وعندما نتفحص التاريخ نجد الطبقة المتعلمة والثقفة، المعروفة في المشرق بالأفندية (ذات المرجعية اليسارية خاصة)، هي الأكثر حماسة للعمل السياسي لفكرة القومية العربية بوصفها الأرضية النظرية لتجسيد طموحاتهم إلى المناصب والمركز الاجتماعي واقعياً.

• رابعاً؛ استطاعت حركة القومية العربية في بدايتها استقطاب أطياف عديدة من النخب العربية المتنوعة دينياً ومذهبياً (إسلامية/ مسيحية.. إلخ)، وأيضاً المختلفة إيديولوجياً (شيوعية/ إسلامية/ عروبية..)، التي تتمرد جميعها على الواقع الطبقي والتخلف، وتعادي الاستعمار الغربي. نلاحظ أن فاعلية

القومية العربية في بداياتها لم تتمثل فقط في إعادة الاعتبار للذات العربية، بل أيضاً بتميمتها لدرجات الوعي الوطني الشعبي والحراك الثقافي النخبوي، على الرغم من أن الاختلافات حول مرجعيات الإصلاح- إسلامية أو علمانية- قد شتتت وأضعفت مجهودات هذه النخب. وفي خضم الصراع الدولي بين المعسكر السوفييتي والغربي، ومعاداة كليهما للتيارات الإسلامية، نجد أن القومية العربية أصبحت الواجهة الفكرية والسياسية لمحاربة الإسلام وتحييده عن الشأن العام. ومن وجهة نظر (حسن البنا) فالقومية العربية انحرفت عن مبادئ بناء الأمة، وصارت معززة لنواميس الجاهلية والتعصب الأعمى لمشتركات ثقافية ولغوية لم تزد العرب إلا تقوقعاً ونبذاً للآخر المختلف عرقياً أو إيديولوجياً.

• وأخيراً؛ لا يمكن تجاهل الدور الفاعل للحركة الوهابية في تسييس الفكر العربي الإسلامي، حيث ارتبطت مواقفها المناهضة لاحتكار الخلافة العثمانية الوصاية على الدين الإسلامي، بالسعي العملي لتقويض حكمها في بلاد الحجاز. يبدو أن هذا الموقف المناهض لم يخلق فقط نوعاً من الدينامية الصدامية مع الحكم العثماني، بل أيضاً جعل مهمة استرجاع نقاء الإسلام وقوة إشعاعه خياراً شعبياً في بلاد الحجاز والعراق وسوريا.

يمكننا القول إن المشاعر الدينية والدفاعية عن الإسلام قد سرعت من ظهور القومية العربية في أول ملامحها العسكرية: الثورة العربية الكبرى¹¹. هنا تجسدت الصحوة الدينية ذات المضامين العروبية العميقة، وكان المقصود من هذا التمرد المسلح منازعة السلطة العثمانية على قيادة الأمة العربية الإسلامية التي فعلياً بدأت منذ بدايات القرن التاسع عشر، وقُعمت في معارك مع جيش محمد علي (حاكم العثمانيين بمصر).

واقعيّاً، سعى بعض المفكرين أو القيادات السياسية المؤمنة بالمشروع النهضوي قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، تحت تأثير الرافد الإسلامي الإصلاحي، لتقوية وتحفيز الارتقاء الاجتماعي أخلاقياً، وأيضاً ترسيخ ثقافة الانتماء الوطني، ولكن لا يمكننا تجاهل ترويج القومية العربية باعتبارها الإيديولوجيا الصلبة التي بإمكانها تحويل الهوان العربي إلى قوة إقليمية في حالة استثارة مشاعر القومية بما تستوعبه من قيم ترابط اجتماعي، وتقارب ثقافي، ونخوة وولاء كامل للوطن

والقضايا العربية، دون الحاجة إلى قيادة سياسية موحدة أو الانضواء في دولة واحدة¹².

يجدر بالذكر أن الظاهرة القومية في المنطقة العربية تتنوع وتختلف أهدافها وتتناقض الأسس والمبادئ الكبرى التي تحكمها باختلاف مرجعياتها. ولعل مقاربة الباحث هيكتور في كتابه (احتواء القومية) تتناسب مع الشعار الأول للتيار القومي العربي قبل الانقسام بين تيارات إسلامية وأخرى علمانية؛ حيث يرى أن القومية «عمل جمعي مصمم لجعل حدود الأمة منسجمة ومتطابقة مع حدود الوحدة الحاكمة»¹³.

يمكن القول إن أفكار القومية العربية قد استقطبت شعوب المنطقة بسبب موقف العداء المشترك ضد القوى الاستعمارية أولاً، ثم ضد الكيان الصهيوني ثانياً.

- مقومات القومية العربية

ربما ما يبرر انتشار القومية العربية كظاهرة سياسية على الرغم من الامتداد الشاسع للرقعة الجغرافية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا هو مظاهر التقارب اللغوي والتجانس الثقافي، بالإضافة إلى وحدة السرديات التاريخية، وقصور الوعي الشعبي بمواقفها (السلبية) من المرجعيات الدينية (القرآن والسنة). اعتبر المفكر كوراني (Korany) أن القومية العربية لا تستمد قوتها فقط من المعطيات السالف ذكرها، بل أيضاً من المؤثرات الخارجية، والاعتقاد الراسخ بالتآمر الغربي والإسرائيلي على الكيان العربي (المترسخ تاريخياً في الوجدان والسلوك العربي)، بالإضافة إلى صعود زعامات وقيادات ذات حضور كاريزمي استطاعت تحفيز الحماسة الشعبية وتوجيهها نحو نصره الهوية القومية العروبية¹³.

- غالباً ما يركز الدارسون على المعطيات المادية للوحدة (الجغرافيا/..) ويتناسون الانكسار العاطفي الذي عايشه العرب في ظل تسلط القوميات الأخرى وتحكمها في دواليب الخلافة العثمانية. بنظرة موجزة إلى التاريخ العربي الإسلامي يمكن القول إن نمو الوعي النخبوي بالتهميش والمهانة، والاعتقاد باستحواذ الأجنبي على الإرث الديني ومشروعية الحكم بدأت مع رواد النهضة¹⁴.

كانت مشاعر الغضب نوعاً من ديناميات الثورة والتمرد على الانحرافات التاريخية، ومن الواضح أن فكرة القومية العربية انبنت على مبدأ الوحدة والتجميع لا لتصحيح المسار وإعادة الاعتبار للذات العربية فقط، بل أيضاً لأن فكرة الدولة القومية ذات الامتداد الجغرافي كانت مستساغة في تلك الفترة تشبهاً بالحركات القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر.

• إن اعتزاز العرب بانتصاراتهم التاريخية القائمة على الدافع الديني، وترسخها في الذاكرة الجمعية من خلال الأعمال الشعرية والإنجازات الحضارية والمعمارية، وأيضاً العلمية، جعل من القومية العربية ملاذاً ثورياً لشعوب تعاني في منتصف القرن الماضي الأمية والفقر والتخلف والاستغلال الغربي، إلى جانب الاحتقار (الاستشراقي)¹⁵. ولكن أصبح هذا الاعتزاز العروبي جزءاً من عقلية مهمشة لدور الإسلام، ومنكرة لأهمية دوره في بناء الأمة القومية، لذلك ظهرت على الساحة السياسية تيارات إسلامية منظمة مثل (الإخوان المسلمين) بقيادة المرشد (حسن البنا)، و(جمعية الشبان المسلمين) التي يرأسها رشيد رضا ومحب الدين الخطيب، ثم نجد انتشاراً واسعاً لحركات الصحوة الإسلامية بقيادة ذات حضور كاريزمي استطاعت تقديم البديل المتصالح مع الواقع المعاش والمتجذر في العمق الديني، كما يرى ذلك قياداتها وأنصارها.

تمثل الحضور السياسي للتيارات الإسلامية بصفته تصدياً براغماتياً للإسقاطات السلبية للنموذج الماركسي التي ينتهجها القوميون العلمانيون على المجتمع العربي المتدين، ومن ثم لم يتخذ الصراع بين التيار الإصلاحية الإسلامي والتيار القومي العروبي أبعاداً سياسية حول نظام الدولة (استمرارية الخلافة/ الدولة المدنية) فقط، بل تجاوزه إلى تخوف على النمط المجتمعي الإسلامي، وتوجس حقيقي من زعزعة الإيمان الديني بمقولات ماركسية تعدّ الدين أفيون الشعوب، وظاهرة بدائية تنبني على الوهم والخوف الخرافي. وعلى أساس هذا التآصيل الأيديولوجي حاول القوميون العلمانيون تقويض حضور التيارات الإسلامية ذات الحظوة الشعبية في الشارع العربي؛ من خلال اتهامها بالرجعية، والتزمت الديني، والعنف المسلح، ونفاد صلاحيتها في زمن الحداثة والليبرالية، وقد رفض - مثلاً - الشيخ عبد العزيز بن باز واستهجن محاولات القوميين استبدالهم بالوعي الإسلامي وعياً قليلاً، إلى درجة اتهامها

بترسيخ عبودية المؤمن للمقاربات الماركسية المادية وترويجها لمظاهر التفسخ الأخلاقي، واصفاً إياها بالجاهلية الملحدة.

- وفي ذات السياق يمكن أن يُعدَّ مبدأ (العبقرية) أو الاستثناء الأخلاقي (مجتمعات محافظة/ دينية/ الترابط الاجتماعي) المترسخ في سيكولوجيا الشخصية العربية أحد مبادئ نشوء القومية العربية وتغلغلها في الوعي الجمعي، خاصة عندما توافرت مقومات الدعاية السياسية والإعلامية لتثوير مشاعر التمايز التي زادت من طموح الزعامات مقابل الدفع بالشعوب للتضحية (المجموعة لخدمة الفرد)، دون التظن لأخطاء القيادات القومية أو بتسامح معها.

وبلغت النزعة القومية العربية ذروتها عندما بدأ الترويج لمقولات انبعاث الأمة ونهضتها لاستمالة شعوبها، وضمان ترويضها واستمرار حكمها، باستحضار مخزون ثقافي واجتماعي يرسخ أخلاق الفتوة والتضحية في سبيل الحكام من أجل المصلحة العامة. وقامت في المنطقة العربية أحزاب قومية طوعت المقولات الدينية لمصالحها الخاصة، وذلك بالاستعانة بأخلاقيات الإسلام، ورفع شعارات مثل (الاشتراكية الإسلامية) لاستمالة قلوب العامة وعقولها وقت الأزمات، أو للحشد ضد المعارضين أو العدو الصهيوني.

يبدو أن هذه المراوحة المنفعية للتيار القومي العلماني بين الاستتجاد بالدين وتحييده أو محاربته تعبر عن نفاق الخطاب السياسي القومي وتلاعبه بمشاعر التدين للأغلبية المسلمة.

المحور الثاني: الأسس الفكرية والإيديولوجية للقومية العربية

- الأسس الفكرية للقومية العربية وأهم زعمائها

تحولت فكرة التنافر بين العرب والغرب إلى إيديولوجيا الكراهية (خاصة مع جمال عبد الناصر ومعمار القذافي)، وباتت تهيمن على سياسات الدولة وعلى الثقافة الجماهيرية (الشعبية) أيضاً، وأُسست القومية العربية لا بصفاتها خياراً استراتيجياً لبناء الدولة الحديثة، إنما للزج بها في أتون الصراعات الدولية.

يمكن القول إن مسألة التعاطي العدائي مع الغرب كانت شعاراً يرفعه بعض

القيادات القومية، يُعَلَّل في الغالب بأنه امتداد للمواجهة التاريخية ضد الحروب الصليبية والاستبداد الاستعماري والإمبريالية الغربية، على الرغم من أن أغلبها تتعاون عسكرياً واقتصادياً مع الغرب، الذي يصورونه في الخطابات السياسية على أنه (الشیطان الأكبر). بالإضافة أن الانتصار للقضية الفلسطينية في الغالب كان على أساس الدفاع عن حرمة القدس والمضطهدين (مسلمين وغير مسلمين) وليس من منطلقات عروبية محضة، خاصة أن (جمعية الشبان المسلمين) و(الإخوان المسلمين) كانوا من أكثر التيارات التي قادت المظاهرات الشعبية المنددة باحتلال فلسطين.

• كما أثرت النزعة القومية في السياسات الداخلية في مجال التعليم ومنظومة الحقوق والحريات وقيم المواطنة على المستوى القطري (الوطني) التي غلب عليها التعصب للغة العربية، وتهميش الأقليات مثل البربر أو الأقباط، بحجج الخوف على الوحدة الوطنية. نستنتج أن القومية العربية قد أفرزت خطاب القوة والتمرد على الثقافة الغربية المهيمنة بغية بسط النفوذ على دواليب الدولة والاستفراد بالسلطة، ولكنها استساغت التعاون العسكري والاقتصادي والزج بشعوبها في استقطابات أيديولوجية (شيوعية/ رأسمالية) مخالفة لمبادئها الدينية وتطلعاتها.

ومن المفارقات التي أوقعت فيها القومية العربية مجتمعاتها أنها لم تحاول إلهائها بحالة استنفار وعلاقة عدائية مع السياسات الغربية بقدر ما طوعت هذا الخطاب العدائي لإفراغ مناهج التدريس من العمق الديني، وفصل الدين عن الدولة، بحجة تغيير النظرة الدونية الغربية وتحسين صورة العرب لديهم¹⁶.

ولعل هذه القيادات القومية استبطنت الخطاب الاستشراقي، وسعت إلى تقويم صورة المجتمع المسلم على ضوء توجهات سياسية وثورية مفارقة تصب جميعها في خدمة المصالح الغربية، التي لطالما تمتت تفويض الدور الرئيسي للإسلام وتفكيك الأمة من الداخل. ولعله من الأفضل هنا أن نتقصى بعض النماذج الفكرية التي رسخت منظومة ممارسات سياسية لدى القوميين تراوح بين الاستبداد وطموحات توسعية متضخمة.

• لا يجوز لنا تجاوز المفكر الطهطاوي عند التطرق إلى الأسس الفكرية للقومية العربية، بغية التطرق إلى التظاهرات الاجتماعية والتاريخية والثقافية لمفهوم الوطنية. في نصوص الطهطاوي دعوة للتغيير والنهوض بالأمة العربية من خلال مقارنة متأثرة بالفكر الغربي (الثورة الفرنسية) أساسها مفاهيم الوطنية والمساواة والعدالة الاجتماعية¹⁷.

• كذلك قدّم المفكر نجيب العزوري تصوراً نموذجياً عن دولة عربية موحدة، ذات سيادة مستقلة، ونظام مؤسساتي دستوري وعلماني. وتجلت تحفظاته على النظام العثماني في مطالبته الشديدة بضرورة الفصل بين تسيير الشأن العام والإرث الديني، بمعنى بناء دولة عربية مستقلة تكون الخط الأول للدفاع عن خصوصيات الهوية العروبية المهمشة بفعل الهيمنة التركية¹⁸.

وراهن كذلك على فكرة التيار القومي من خلال تأسيسه لحزب (عصبة الوطن العربي) سنة 1904، وأسهم في تشكيل ملامح هذه الصحو القومية بعد إصداره لمجلة (الاستقلال العربي) سنة 1907. إن مساعي (العزوري) لتطويع الوعي القومي تستمد جذورها من مبادرات كثير من مفكري عرب الشام؛ مثل بطرس البستاني وإبراهيم اليازجي، الذين كانت لهم الأسبقية التاريخية لتحفيز النزعة القومية العروبية بعد تأسيسهم (للجمعية العلمية السورية) سنة 1857. ويمكن القول إن مبادئ الفكر القومي قد تشكلت سياسياً مع (جمعية بيروت السرية) سنة 1875، حيث كان لمفكري وقادة عرب الشام من ذوي الأصول المسيحية دور أساسي في التصدي للاستراتيجيات القومية العثمانية ذات الخلفية الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، أي إن القومية العربية أُسست على أطروحات التشكيك في النوايا العثمانية لما رأوا فيها من محاولات يائسة للاستيلاء على المنطقة العربية لضمان استدامة حكمها أمام هيمنة التوسع الأوروبي¹⁹. يضاف إلى ذلك أن الموقف من تعزيز النفوذ العربي فكرياً وسياسياً ازداد الاهتمام به مع محب الدين الخطيب، الذي أسس (جمعية النهضة العربية) بدمشق.

كما أسلفنا حظيت مفاهيم (العروبة) واللغة العربية بحيز كبير من الاهتمام، حيث تولى العديد من رواد النهضة إحياء الإرث الإسلامي، وإعادة كتابة التاريخ، وترجمة الكتب، لا خوفاً من موجة (التتريك) التي انتهجتها

القومية التركية الطورانية المنقلبة على حكم السلطان عبد الحميد فقط، بل وإيماناً بضرورة إحياء لغة القرآن ومنجزات الحضارة الإسلامية.

• انخرطت الأوساط الثقافية النخبوية، خاصة من الأصول المسيحية، في ترسيخ القومية العربية واعتبارها ضرورة تاريخية، على غرار المفكر شكيب أرسلان. يهمننا هنا التأكيد أن كتابات مفكري المهجر في مجلة (الأمة العربية) قد شددت على التوليفة بين العلمانية والشعور القومي العروبي المتشابكة تارة مع قوة الإسلام وتارة أخرى منبهرة بالقيم الليبرالية الداعية لفصل الدين عن الدولة. من هذا المنظور راهنت النخبة المثقفة؛ مثل علي عبد الرازق وأنطوان سعادة، على إقامة الدولة القومية ذات المشروع العلماني إضافة إلى المشترك العروبي (اللغة/ الثقافة..).

بلغت ذروة المطالبة بالقومية العربية والتعصب القومي مع أحد مؤسسي حزب البعث، ميشال عفلق، الذي راهن على بدهة الهوية القومية العربية، ودعا إلى التركيز على الأمور الجوهرية المحددة لتوجهاتها السياسية والفكرية الكبرى؛ من قبيل الوعي بانحياز مضامينها نحو العلمانية والتقدمية.. إلخ. وبمراجعة تاريخية سريعة يمكن القول إن عملية تأسيس حزب البعث تعد تنويجاً للمواقف النخبوية الداعمة للتيار القومي، ورغبة في ترجمتها في المجال السياسي عملياً وواقعياً²⁰.

كان ميشال عفلق براغماتياً و متمسكاً بقوة بالمخزون الثقافي الموحد للأمة العربية، وهو ما أسهم في إعادة إنتاج منظومة استبدادية متعصبة لفكرة القومية ومتجاهلة لمبادئ التعددية والتعايش السلمي.

• كانت أعمال ساطع الحصري تؤسس لبداية إعادة بناء مقومات الشخصية العربية على أسس المشترك القومي/ الوطني، حيث تميز في توكيد الهوية الثقافية للوطن (الطقوس/ الدين/ السلوك الاجتماعي/ التاريخ/ اللغة..) التي تجمع الأمة، وتضمن ترابطها الدائم أكثر من وحدة الهوية السياسية، ومن ثم فمسار بناء الدولة القومية سياسياً يصبح انعكاساً منطقياً وطبيعياً لهذه الهيمنة الثقافية للمشارك الجمعي²¹.

نظر الحصري إلى القومية العربية على أنها إنقاذ لأمة تتشارك مرجعيات

تاريخية وثقافية موحدة من شتات وحدود جغرافية وهمية صنعتها القوى الاستعمارية، وحاول الترويج للفكرة، وإقناع النخبة العربية بأن الحدود الجغرافية ذات الخلفيات الإمبريالية هي في الحقيقة انحراف وطمس للطابع الوحداني للمجتمع العربي. ويمكن القول إن أفكار الحصري قد هيمنت على البنى الفكرية والتصورات السياسية للقومية العربية، وتبلورت من خلالها نقاشات حول نوايا الإمبريالية بإضعاف الدول العربية المستقلة حديثاً؛ عسكرياً وسياسياً، وتشتيت جهودها في بناء دويلات عوض الاتحاد ضمن دولة قومية واحدة وقوية.

في أي حال يمكن القول إن مقاربة الحصري تعبير وامتداد للنزعة القومية العروبية التي صار- مثلاً- حزب البعث وجمال عبد الناصر يرون أنها دعوة ضرورية للانضواء تحت سلطة الدولة القومية الواحدة وبسط نفوذهم على المنطقة²².

ولكن على الرغم من تعدد المرجعيات الفكرية لظاهرة القومية العربية، لم يتم صياغة أو تطوير مشروع نهضوي براغماتي يعزز مستويات التعاون أو التكامل بين مختلف الأطراف العربية. واكتفى أغلب المنظرين للمشروع القومي بالانخراط في نزاعات فكرية ونقاشات زادت من منسوب الصراع السياسي حول مشروعية الزعامة (بعثية/ ناصرية/..)، وأيضاً الانغماس في القضايا الوطنية، وهذا يبدو طبيعياً لنخب حديثة العهد بمعضلات بناء الدولة الحديثة، وهو ما زاد من القطيعة بين واقع الدولة الوطنية وشعارات بناء (الأمة) القومية، التي ما زالت أغلب شعوبها تعاني الأمية والفقر وغياب منوال التنمية، والارتهاق للقوى الاستعمارية في مجال التعليم والصحة والبنية التحتية. ولعل أهم ما يمكن استنتاجه هنا أن أسبقية المشروع العروبي على المشروع الوطني خلق نوعاً من الاختلال والعنف لدى الزعامات القومية.

• في الصيرورة التاريخية للقومية العربية، استحوذ الرئيس جمال عبد الناصر على كل الشرعية السياسية والدعم الشعبي نتيجة لشخصيته الكاريزمية، والجرأة والصرامة، التي قسمت الشارع العربي بين مؤيد لقراراته الوطنية المصرية وأيضاً القومية ورافض لها. ولا يمكن فصل تشكل القومية

العربية كأيدولوجيا حكم وسلطة عن الشخصية الناصرية، التي جرى تبني أفكارها فيما بعد في شكل حركات وأحزاب سياسية ومنهج حكم تؤمن أن المشروع القومي لن ينجح إلا تحت قيادة هذه الشخصية المركزية وتعاليمها³³. ولكن اختزل المشروع القومي في الذهنية العربية في الأداء السياسي لجمال عبد الناصر، الذي كان العديدون يرونه أيقونة الحلم العربي، ورمز القيادة الثورية للنهوض بالأمة العربية، وآخرون يرون في قراراته الانفعالية والمتسارعة السبب الأول لضياع القضية الفلسطينية.

وصل الضابط جمال عبد الناصر إلى الحكم بعد ما يناهز عامين من الانقلاب العسكري الذي قام به الضباط الأحرار ضد الملك فاروق في 23 يوليو/تموز 1952. لا شك في أن هذا الترويج للقومية العربية بصفتها خياراً استراتيجياً خلال خمسينيات القرن الماضي وستينياته رسم في مساراتها نزعة لنفي الآخر (العربي) بوصفه تهديداً لنقاء الهوية العربية، وأيضاً مع الآخر (العربي) المخالف للطموحات التوسعية الناصرية.

وبالعودة إلى المسار التاريخي للقومية العربية فإننا نجد أن المواطن العربي دخل فيما يشبه الغيبوبة المؤقتة، خاصة في منتصف الخمسينيات، تحت تأثير خطاب قومي تزعمه الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ظاهره تعرية ديناميات الإمبريالية الغربية واجتثاثها؛ لكونها عائقاً أمام بناء دولة الاستقلال بعد عقود من الإساءات المنهجية روجت لها منظومة الاستشراق، وباطنها إحكام السيطرة أو الوصاية الفعلية والرمزية على سيادة دول عربية حديثة العهد بالحكم (اليمن/ الجزائر/ سوريا/ لبنان..).

ويرى المفكر Dawisha أن عبد الناصر استطاع تجميع القوات العربية وتطوير التعاون العربي إقليمياً للتصدي للسياسات الاستعمارية غير المباشرة لبريطانيا، خاصة بعد تأميم قناة السويس. وبعد العدوان الثلاثي على مصر، استطاع جمال عبد الناصر استمالة الرأي العام العربي، وأيضاً الإسلامي، بالإضافة إلى المعسكر الاشتراكي، والتموقع بمصر قوةً إقليميةً ووصية على القومية العربية، على الرغم من تتالي النزاعات مع حزب البعث العراقي، والمملكة السعودية بعد تدخله العسكري في اليمن، بالإضافة إلى خصوماته

مع الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، المعارض أصلاً لفكرة القومية العربية وللمنهج الناصري في حل الأزمات الإقليمية²⁴.

المحور الثالث: الواقع البراغماتي للقومية العربية

- خطاب القومية العربية والإمبريالية الغربية

عند دراسة القومية العربية نستنتج بسهولة أن التعبئة الشعبية قامت على أدلجة مظاهر التضاد بين العرب (نحن) والترك العثمانيين (هم)، عموماً تواصلت هذه النزعة الصدامية داخل المجتمعات العربية لتنتج مواقف أكثر عداءً وضدية، ليس فقط ضد الغرب وإسرائيل، بل أيضاً ضد بعض الدول العربية مثل السعودية والأردن، أو القوى الإسلامية خلال الحكم الناصري. وبلا ريب تفترض النزعة القومية التعصب (الإيجابي) لمشتركات (الأمة المتخيلة) التي تستمد قوتها من الإرث التاريخي بانتصاراته وهزائمه والمخزون الثقافي²⁵.

تطورت التعبئة اللغوية ضد القوى الإمبريالية خاصة بعد أن صنفت القوات البريطانية الحركات القومية الجهادية ضد أجندتها الداعمة للاحتلال الصهيوني قوة إرهابية وإجرامية (1936-1939)، متهمة إياها بالفوضى واستعمال العنف المسلح ضد جيشها ومصالحها في المنطقة، خاصة بفلسطين.

- غالباً ما تستثمر القوميات هذا التشابك بين الضمير الجمعي والإيمان الشعبي بالفوقية الأخلاقية والحضارية في صراعها مع القوميات أو الدول المعادية، بمعنى أن الشعور القومي يكون الحشد له خطابياً باستحضار مقومات الهوية الثقافية والاجتماعية المشتركة لمجتمعات شُتتت جغرافياً، وتستوجب الواقعية السياسية إعادة احتوائها وتجميعها، ليس فقط لمواجهة الآخر المختلف، بل أيضاً بسبب (صراع البقاء)، وضمان استمرارية الوجود الحيوي للعرق (لغوياً/ تاريخياً/ حضارياً/..).

وفي ظل الدفاع عن الهوية نشأ الخطاب المستهجن للتهميش العربي من قبل قوى بدووا يعدونها دخيلة (العثمانيين)، استحوذت على الموروث التاريخي والأدبي والسياسي للحضارة الإسلامية ذات الأصول العربية، ومن ثم فوظيفة القومية العربية تتجسد في استرجاع هذه المنجزات رمزياً، وبناء وحدة سياسية

براغماتياً كما جاء على لسان العديد من المفكرين والقادة؛ مثل الأمير فيصل في خطابه يونيو/ حزيران 1919 بحلب²⁶. من هنا تطورت الوظيفة الخطابية للقومية العربية، حيث انتقلت من طورها النخبوي التنظيري إلى طورها السياسي البراغماتي، تجانساً مع الضرورة التاريخية التي استوجبت الضغط الشعبي والعمل العسكري لانتزاع الحكم الذاتي والاستقلال والتوحد للشعوب العربية.

من هذه الزاوية أُخضع العديد من السرديات الدينية والتاريخية والمعارية لخدمة تفوق الهوية القومية العربية وتمييزها عن (العدو)، دون الاقتصار على حجج وحدة الدين و(تقديس) الشخصيات التاريخية (الخلفاء/ صلاح الدين الأيوبي..) لترويض الرأي العام، بل انتهج العديد من القوميين عملية استقراء (المشترك القومي) بمحاكاة قسرية لمبادئ الحداثة والثقافة الغربية (مؤسسات الحكم/ مناهج التعليم..)²⁷.

• ترافق خطاب القومية العربية بالدعاية السياسية، وتمكن القادة من التواصل المنفتح مع القواعد الجماهيرية، حيث كانت القيادات القومية (خاصة بالعراق ومصر) تستخدم الآليات الخطابية والسجالية للخطاب السياسي (شعارات/ استعارات/..) ليس فقط لدعم طموحها السياسي وتبرير الطابع السلطوي لحكمها، أو للتصدي للخطر الأجنبي المترص بالمشروع العروبي، بل أيضاً لتمتية الولاء للأحزاب القومية لدى الشعوب العربية.

من الضروري القول إن من سمات الخطاب القومي التوجه المباشر للقواعد الشعبية في كل الدول العربية، معتمداً الاستقطاب الإيديولوجي بين العرب والغرب (أمريكا وإسرائيل)، وأيضاً بين الحكام (القوميين) والمعارضة، وهو ما جعل الزعامة والكاريزما القيادية مفهوميين متلازمين مع القومية العربية في الذهنية الشعبية والنخبوية أيضاً²⁸.

عززت هذه الخطابات (هستيريا) التعصب للزعامة السياسية والفكرة القومية بدوافع شعبية عميقة، حيث استغلت حالة العداء للتدخل الغربي في الشؤون العربية لاستقطاب الرأي العام بشعارات كبرى رأى فيها العديد من الباحثين ترويحاً للوهم الإيديولوجي من أجل ضمان رضا الجماهير وسكوتها عن

الأجندات الوطنية المرتجلة في الاقتصاد والحوكمة، وسياسات تكديس الأسلحة، والانحياز للقطب الاشتراكي خلال الحرب الباردة. هذا يعني أن واقع الصراع والتنازع الدولي حول القضية الفلسطينية زاد من النفس الشعبي ومستويات الدعاية الإيديولوجية داخل الخطاب القومي للتعاطية على بواصر التشتت داخل الدوائر السياسية العربية، بين انتماءات مضادة للمعسكر الأمريكي والمعسكر السوفييتي، بالإضافة إلى النزوع نحو القيادة المنفردة والوصاية التامة على المشروع القومي من طرف الرئيس جمال عبد الناصر. وسرعان ما وجدت القومية العربية، خاصة خلال هذه الفترة من الحكم الناصري، الإسناد الإعلامي والفني، حيث تجلى صراع العدو الغربي والصهيوني بصفته نزاعاً حول الهوية الإيديولوجية²⁹.

- أصبح العامل الديني أحد المحركات الأساسية للصراع بين الفاعلين السياسيين داخل القومية العربية، وأيضاً للتعاطية السياسية في الشارع العربي حيث صارت مسائل الاستقطاب وثنائيات الإقصاء تتمحور حول الهوية (علمانية/ إسلامية)، نظام سياسي (ديمقراطي/ إسلامي)، حرية المرأة، والديمقراطية وأيضاً مقولات العلمانية (الفصل بين الدين والسلطة)³⁰.

يمكن القول إن الخطاب القومي ركز على نعت الإسلاميين بالقوى الرجعية التي تهدد مشروع بناء الدولة الوطنية والمشروع القومي، الذي ترى فيه خروجاً عن التعاليم القرآنية بما استقرت فيه من تعصب وتحفيز للتفوق الإثني على بقية المجتمعات أو الأقليات (تقديس العروبة ضد مبدأ المساواة والتنوع والأقليات). هذا أيضاً إلى جانب استتكار الحركات الإسلامية للمرجعية الشيوعية والماركسية للقومية العربية، وأجندات التعاون الاقتصادي والعسكري والسياسي مع الاتحاد السوفييتي، المعروف بتهميشه للدين، وتكيله بالأقليات المسلمة في الشيشان وبقية الدول المنضوية تحته. ولم يكن من الصعب ملاحظة تحركات المملكة العربية السعودية ضد هذا المد القومي، خاصة بعد التدخل العسكري المصري في اليمن، حيث أنشأت رابطة العالم الإسلامي للدفاع عن الهوية الإسلامية من تهديد الثقافة الشيوعية، ونادت في المؤتمر الإسلامي المنعقد بمدينة مكة المكرمة بضرورة التصدي لمثل هذه الإيديولوجيات المعادية لتعاليم الدين تحت تسميات العروبة والقومية³¹. وقد تمخضت عن هذا

المؤتمر (الجامعة الإسلامية العالمية) لترسيخ مبادرات التضامن الإسلامي لتكون بدائل عملية لتجميع الأمة حول مشروع حضاري معتز بتراثه وتعاليمه الدينية، ويستوعب التنوع داخله.

لا شك في أن السياسات (العدوانية) لبعض زعماء القومية أدت إلى تقسيم المنطقة، وشرعت لتصنيف الدول والنخب السياسية والمثقفة ضمن ثنائيات واهية؛ مثل الرجعية والتقدمية، أو الموالاتة للغرب والممانعة، لخدمة أجنداتها ومصالحها الخاصة.

• ما فعلته قيادات القومية العربية بالتضييق على الإسلاميين، وفرض وصاية الدولة على ما يسمى بالإسلام الرسمي، لم يكن بحجة محو العقيدة الدينية ومظاهر التدين اليومي، بل بسبب رفضهم لفكرة أن الدين الإسلامي ينازع القومية في استمالة العقول^{٢٢}. وقد شرع الخطاب القومي المنصهر في المقاربة الأيديولوجية العلمانية للتشكيك في قدرة الإسلاميين على الانخراط في بناء الدولة المدنية والديمقراطية، خاصة أنها تعتمد تنظيراً فكرياً يدين بالولاء لفكرة الأمة الإسلامية.

نلاحظ هنا أن التيار القومي أصبح متطرفاً في كثير من مواقفه وممارساته؛ بسبب انغماسه في الأفكار الاشتراكية الماركسية، وهو ما أدى إلى تصاعد التذبذب السياسي والصراع العربي-العربي (القومي-الإسلامي). وكما سبق أن ذكرنا فإن تأسيس القومية على مبادئ الاشتراكية دفع المملكة السعودية إلى انتقاد واستتكار ما رأت فيه (محرابة/ عداوة للإسلام)؛ من خلال تسخير الموارد المالية لدعم مبادرات التضامن الإسلامي؛ للتشديد على التكامل بين الإسلام والنظم السياسية الحديثة. لا تعتمد هذه المقاربة الضدية مع القومية العربية على الثقل الإقليمي والاستراتيجي للمملكة السعودية في مواجهة المد الناصري فقط، بل أيضاً على الإيمان بأن الإسلام والعروبة لا يتساويان، وأن السيادة الأولى للإسلام، كما أكد ذلك الملك عبد العزيز، ثم تأتي العروبة والوطن والشعب. ولكن من المهم أن نذكر أن العربية السعودية ساندت مصر بعد هزيمة 1967 وخسارتها لسيناء وغزة، ففي ذات السنة وخلال قمة الخرطوم برز الالتفاف العربي حول مصر بعد إنهاء حضورها في اليمن، وتراجع عائداتها بسبب إغلاق

قناة السويس³³.

• نجد في موقف أغلبية القوميين من المقاربة الاشتراكية محاولة لتعزيز خطابهم ذي الخلفية الشعبوية، رغم بعض النجاحات قصيرة المدى، حيث قُدمت أفكار العدالة الاجتماعية ومشاريع القضاء على الطبقة على أنها من ضمن شروط نجاح المشروع القومي وتوسيع قاعدته الشعبية. وهذا التوجه أوقع القيادات الثورية القومية في قرارات ارتجالية ومتسارعة، وزاد من عملية إسقاطها لنماذج الاشتراكية الغربية على المنظومة الاقتصادية والاجتماعية العربية، دون مراعاة حداثة عهدها بالاستقلال، وصعوبة المرحلة الجينية لبناء الدولة. ولكن استطاعت القيادات القومية مثل علق وجمال عبد الناصر، وكذلك القذافي، استغلال مفهوم الاشتراكية العربية كمكون جوهري للخطاب القومي (الثوري)، أي إن التماهي بين فكرة العدالة الاجتماعية والقوة القومية هي أساس براغماتية الفعل السياسي القومي، وجعلوا منه رهاناً ثورياً وآلية تعبئة جماهيرية لمشروعهم في المنطقة³⁴.

إن التوجهات الاشتراكية ساعدت في استمالة بعض القواعد الجماهيرية واستثارة حماسها بمقولات حول الاكتفاء الذاتي، ومقاطعة السلع الأمريكية، في سياق تاريخي تزداد فيه قوة دولة إسرائيل إقليمياً ودولياً.

- المحطات المفصلية في تاريخ القومية العربية

بدأت (القومية العربية) بديلاً عملياً لواقع التخلف والتبعية، ومشروعاً فكرياً للتغيير، يتبلور في أذهان بعض رواد الفكر العربي بالمهجر قبل الحرب العالمية الأولى، حيث شهدت عدة مراحل من التشكل وإعادة التشكيل، خاصة على المستويين الإيديولوجي والسياسي.

نهتم هنا بدراسة مسار تشكل القومية العربية على الرغم من فشلها المبكر، وعدم قدرة زعمائها على تحقيق الازدهار أو تعميق أشكال الانتماء للدولة الأمة، خاصة أنها استبطنت نوعاً من صيرورة التطور المحفوفة بالتحديات والمصاعب بالإضافة إلى الصراعات الداخلية.

- 1798

(1916)

في خضم الصراع الأوروبي العثماني حظيت النزعة القومية بدعم وإسناد بعض القوى الغربية، خاصة إنكلترا، وقد تطورت مشاعر السخط والاحتجاج العربي بسبب اهتزاز شرعية حكم الخلافة العثمانية، إلى جانب ضعفها أمام الهيمنة الغربية، وتطرف بعض نخبها وقياداتها ضد (العروبة) و(الإسلام)، تطورت إلى المقاومة والتمرد المسلح بعد أن أعلن الشريف حسين الجهاد ضد العسكر التركي. وقد أدى إعلانه للثورة العربية الكبرى سنة 1916 في بلاد الحجاز إلى انتشار مظاهر التمرد الشعبي المسلح على السلطة التابعة للنظام العثماني في كل من العراق وسوريا؛ تعبيراً عن الحنق من واقع المجاعة والتجنيد القسري على هامش الحرب العالمية الأولى³⁶.

غالباً ما تأثر هذا التوجه نحو تشكيل فكر القومية بالتيارات الأوروبية الصاعدة خارج سياق النظام الإمبراطوري، والمعادية لنزعة التبعية، والداعية للانتفاضة ضد حكم الخلافة العثمانية، التي حكمت المنطقة ما يناهز 500 سنة.

الحقيقة أن هذه الثورة العسكرية تعد منعطفاً مهماً في صيرورة القومية العربية وانتقالها من الطور الفكري التثويري إلى الطور السياسي، إلا أن محاولات إحياء الوعي القومي بدأت فعلياً مع رواد النهضة العربية، وتحديدًا بعد حملة نابليون على مصر في 1798.

ويمكن القول إن هذا اللقاء شبه الاستعماري مع الحضارة الأوروبية قد نتجت عنه مقولات جديدة حول مفاهيم المواطنة، والحكم، والقومية تسعى مختلف مقارباتها وتحليلاتها لواقع التخلف والوهن العربي إلى الاعتزاز بمقومات الإسلام والعروبة (بدرجات متفاوتة بين المفكرين)، مع تطويع آليات ومفاهيم النهضة الأوروبية لتحقيق المشروع الإصلاحي. وقد حكم منطق الإصلاح، والتخوف على ضياع الأمة العربية وتراثها في أتون صراع بين حكم الدولة العثمانية والمستعمر الأوروبي، إلى جانب التوجس من الهجرة المنظمة لليهود إلى فلسطين، المقاربات الفكرية لرواد النهضة العربية مثل الكواكبي، والعاذوري.. إلخ.

وبهذا تصبح هذه المرحلة الأولى محكومة بضرورة من التحولات يدور أغلبها حول هاجس إعادة بناء أمة قوية، وهذا الحراك الفكري والحشد للعروبة

تمخض عنه التحالف الثوري العسكري (الثورة العربية الكبرى) بين القوميين العرب، ليس فقط لتقويض الحكم العثماني في بلاد الحجاز والشام والعراق إثر هدنة مودروس¹ ثم معاهدة سيفر² بإسناد بريطاني، بل أيضاً لاستحداث كيانات سياسية ملتزمة بصحوة القومية العربية، مثل تأسيس تحالف دول عربية متكون من المملكة السعودية والعراق والأردن وسوريا.

يمكن القول إن الخصوصية التاريخية لهذه الثورة العربية تتمثل في القطع الجذري مع الأنماط التقليدية للحكم وانصهارها في بناء الدولة الحديثة في المنطقة العربية.

1916 -

(1936)

تطورت وتنامت النزعة القومية المعادية للقوى الاستعمارية بالمنطقة العربية بعد انتصارات الثورة العربية الكبرى، وانخرط نخبوي (ثقايفي) في استثارة الحماسة الوطنية، وتتالي دعوات الإحياء الإصلاحي، فجاءت الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ لتجدد دينامية النضال والتمرد على القمع السياسي البريطاني وأجنداتها التآمرية مع المشروع الصهيوني^{٣٧}.

١ * هدنة مودروس: أنهت هذه الهدنة في ٣٠ أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٨
المواجهات المسلحة بين الدولة العثمانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى، وطبقاً لهذه المعاهدة تنازل الأتراك عن مواقعهم المتبقية خارج الأناضول، ووافقوا على سيطرة الحلفاء على مضائق البوسفور والدرديل مع الحق في احتلال أي إقليم عثماني، وتسريح الجيش العثماني، بالإضافة إلى استسلامهم وتوقيف القتال ضد مسلحي الثورة العربية الكبرى.

٢ * معاهدة سيفر: كان إمضاؤها بتاريخ ١٠ أغسطس/آب ١٩٢٠ مع دول الحلفاء عقب هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. وتضمنت هذه المعاهدة التخلي عن جميع الأراضي العثمانية التي يقطنها غير الناطقين باللغة التركية، وقُسمت بلدان الشرق الأوسط وأُخضعت فلسطين للانتداب البريطاني، وسوريا للانتداب الفرنسي. وبعد هذه المعاهدة بدأت حرب الاستقلال بقيادة كمال أتاتورك.

تصاعدت قوة القومية العربية عسكرياً وفكرياً، وبدأ الحشد والتعبئة الشعبية للقضية الفلسطينية في كامل المنطقة العربية. أدت هذه التهديدات الأجنبية الاستعمارية للأراضي الفلسطينية إلى نضج فكرة السيادة الشعبية العربية، وإعادة إنتاج الوعي الوطني نخبياً وجماهيرياً، بمعنى انتشار ثقافة الانتماء القومي بواسطة خطاب يعلي من مفاهيم نقاء و(طهارة) الأرض العربية، ويشجع على إحياء المشترك الجماعي (الرمزي) داخل الهوية العربية (الاختلافات التاريخية والدينية مع اليهود / الفتح الإسلامي للقدس / التعالي الإثني (خير أمة أخرجت للناس) ..). ومن ثم فالثورة الفلسطينية العربية تعد انعطافاً تاريخياً شرعنت لدمج السرديات الدينية والتراثية في القومية العربية لتحفيز الاصطفاف الشعبي ضد العدو المشترك: المشروع الصهيوني المتمثل في إنشاء دولة إسرائيل.

المرحلة الثالثة للقومية العربية: مرحلة ترسيخ النزعة القومية (1948 - 1967)

الحقيقة أن تأسيس دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية سنة ١٩٤٨ قد أوج القوة العاطفية للقومية العربية، واستفز الرأي العام ضد العدو الصهيوني والقوى الإمبريالية الداعمة لمشروع تقسيم فلسطين. ومن هنا ظهرت القومية العربية بصفاتها أيديولوجيا سياسية ذات مقاربات راديكالية لاجتثاث الحضور الاستعماري، ودعم حركات المقاومة والتحرر في المنطقة العربية، والأهم أن القومية العربية صارت العقيدة الجوهرية التي ترسخت جذورها في الشارع العربي (فن/ ثقافة/ نكت/ إعلام/ عمل عسكري/ خطاب سياسي..). والتي أنتجت إعادة استحضار الذات الجمعية القومية في إطار تحالف بين الجيوش العربية للقضاء على العدو الصهيوني، واسترجاع كامل الأراضي الفلسطينية في حروب متتالية، أهمها حرب ١٩٦٧ (النكسة)^{٢٨}. وخلال ذات المرحلة عرفت الدول العربية عدة انقلابات عسكرية، وهو ما جعل زعماء القومية العربية يروجون لخطاب سياسي تعبوي جريء وعدائي ضد خصومهم بالداخل أو التهديدات الخارجية.

من نتائج ذلك نشوء الدولة الوطنية الحديثة في العراق وسوريا تحت قيادة حزب البعث، واختزال مظاهر السلطة في مصر في شخصية جمال عبد

الناصر وبعض الضباط الأحرار، وهو ما قاد إلى تشكل نوع من الاستبداد والتضييق على المعارضين الذين تعددت تهمهم (الشيوعية/ إسلاميون/ رجعيون/ خونة/..)^{٢٩}.

كما رأينا، شهدت هذه الحقبة التاريخية صعود القومية العربية وأيضاً أفولها إلى درجة انتشار موجات التشكيك النخبوي والشعبي في فاعليتها بعد فشل تجربة (الجمهورية العربية المتحدة) (مصر وسوريا) في ١٩٥٨، وتواصل الاحتلال الصهيوني لفلسطين والجولان. ويمكن القول إن هذه المرحلة بدأت تشهد ظهور أحزاب سياسية جديدة مثل الإخوان المسلمين الذين يسعون لإعادة تشكيل مفهوم (الأمة) على أسس الرابط الديني الإسلامي.

المرحلة الرابعة للقومية العربية: مرحلة أفول القومية العربية (1967-٠٠)

يمكن الجزم بأن القومية العربية بوصفها إيديولوجيا سياسية وفكرية فقدت مصداقيتها في الشارع العربي بعد حرب النكسة، وتوقيع الرئيس السادات لمعاهدات سلام مع إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣، ولكنها ظلت متعايشة داخل الوجدان والذهنية العربية بصفتها قوة حيوية تظهر في بعض ردود الفعل الشعبية المتضامنة مع المأساة الفلسطينية أو الحرب اللبنانية واحتلال العراق. وعلى الرغم من أن القومية العربية حاولت الاحتفاظ بمرزيتها من خلال ظهور كيانات بديلة (منظمات/ مراكز بحث/ أحزاب..) تحمل شعارات الدفاع عن حقوق الإنسان، وتقوية المجتمع المدني، والدفاع عن النموذج الديمقراطي، تحت اسم (القومية الجديدة)، فإن حضور التشكيلات السياسية للتيار السلفي، والعمل الخيري للجمعيات الإسلامية، قد طغى على الفضاء العام، وصارت له شعبية كبيرة داخل المجتمعات الإسلامية^{٣٠}. المهم في هذه المرحلة الحالية هو غياب التعبئة السياسية للقومية العربية، واستبدالها بمفاهيم الوطنية والولاء للوطن الأم، إلى جانب الاكتفاء ببعض الاجتماعات الدورية بالجامعة العربية، والجدال النخبوي بين المفكرين في المنابر الإعلامية أو الأكاديمية حول قضية التطبيع مع إسرائيل.

في هذه المرحلة الحالية، خاصة بعد حرب الخليج الأولى وغزو الكويت،

وانقسام الشارع العربي بين المستنكر والمساند للاحتلال العراقي والتدخل الأمريكي، صارت القومية العربية تراوح بين القومية الجديدة المقتصرة على شعارات المناسباتية، والقومية المبتذلة/ الشكلية التي تتمظهر في بعض الممارسات الثقافية (العلم الفلسطيني في المناسبات العربية/ احتفالات بيوم الأرض/ الأغاني الملزمة/ قوافل التبرعات.. إلخ).

ولكن يمكن القول إن القومية العربية تشهد انعطافة تاريخية جديدة لا بوصفها مشروعاً سياسياً، بل فقط إحياء للترابط العاطفي الذي تبلورت ملامحه الأولى مع اندلاع ثورات الربيع العربي على مواقع التواصل الاجتماعي أو المنابر الإعلامية، حيث صارت مشاعر التعاطف والترابط أكثر ديناميكية وسيولة، وأحياناً تنصهر داخل شعارات القوى الإسلامية، كما ظهر في الحماسة الشعبية لإسقاط الأنظمة الاستبدادية (التي يرى شعوبها أن تتآمر مع القوى الغربية وتخون المصلحة الوطنية والقومية) في مصر وتونس واليمن وسوريا. نستنتج هنا أن فكرة القومية العربية بصفتها موروثاً سياسياً وثقافياً ليس بإمكانه تحريك الشارع العربي، وصارت النزعة الثورية تُستغل من قبل الحركات الجهادية للتكيد وتخريب الدول العربية (النموذج السوري)، وتتحرف بقوميين آخرين للدفاع عن مجازر النظام السوري (باعتباره خط المقاومة) وتشريع لعنف الدولة. أظهرت الثورات العربية ونماذج تغيير النظام بعد وصول الإسلاميين إلى الحكم أن الشارع العربي ما زال يحتكم إلى قوة المرجعية الإسلامية بعد استكانة مطولة، وخنوع للثقافة الغربية المهيمنة، بمعنى أن الثورات العربية جاءت تتويجاً لرغبة جماهيرية مكبوتة تؤمن بقوة الهوية الإسلامية وترفض سياسات الاحتقار والتآمر مع القوى الغربية.

- الصراعات السياسية داخل القومية العربية

يعيدنا السياق الحالي للصراعات العربية-العربية، والتفكك الحاصل في الهوية الوطنية، والتخلي شبه الكامل عن العقيدة القومية، إلى الحالة التي انتهى عليها مشروع القومية العربية، حيث وصلت النخب العربية وشعوبها إلى قناعة مفادها أن (العرب) محكومون بالتفرقة والتشتت والعداء، وأن البديل الحقيقي ليس الأحزاب السياسية الإسلامية، بل نشوء تحالفات عربية إقليمية تتعاون بتكافؤ

في المسائل الأمنية، مثل التحالف الإسلامي العسكري ضد الإرهاب.

• توصلنا هذه النتيجة إلى الانشقاق الذي حصل في مرحلة مبكرة من تاريخ القومية العربية، ولا سيما بعد معاهدة سايكس-بيكو^٢ (١٩١٦)، ونشوء الدولة الحديثة بسبب مشاريع التحديث، وسرعة انتشار الأفكار العلمانية، وهو ما دفع الحركة السلفية لتبني مواقف نقدية من المنهج القومي ذي المرجعية الغربية.

هذه الأخيرة حرصت على المشاركة في تشكيل الصحو الدينية داخل التيار القومي العربي، وانخرط مشايخها؛ مثل محمد عبده^٣ وجمال الدين إقبال^٤، في خطاب ديني مشجع لتوحيد الأمة العربية الإسلامية على أسس وأخلاقيات التدين، التي رأوا فيها تناقضاً وتمائزاً عن الثقافة الغربية الموصومة بالإلحاد والإباحية^٥.

• وعقب مرحلة الثورة العربية الكبرى ثم ثورة فلسطين، تأكدت الهواجس باستحالة بناء دولة عربية موحدة، ليس فقط بسبب التقسيم الاستعماري للمنطقة، أو نتيجة للصراع السياسي المحتدم بين القادة الجدد السوريين والعراقيين (حركة الفتوة بالعراق/ منظمة الشباب السوري/ حزب الوطني السوري)، بل أيضاً بسبب تصاعد التوتر بين القوميين والإسلاميين (الإخوان المسلمين). في ارتدادات هذا التنافس من أجل الاستحواذ على الشرعية القومية تشكل نوع من التشبث الاصطلاحي بين العربية والإسلامية^٦. في أي حال يمكن القول إن القوميين عللوا أهمية الانتماء العربي وأسبقيته على الهوية الجماعية الدينية؛ لأنه يشكل هوية قومية تعددية وغير منغلقة تشترط نمط التدين الإسلامي.

• ٢ معاهدة سايكس-بيكو: كانت اتفاقاً وتفاهماً سرياً بين فرنسا وبريطانيا، بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام منطقة الهلال الخصيب بعد تهوي الدولة العثمانية. وحصلت فرنسا بموجب هذه الاتفاقية على سوريا ولبنان ومنطقة الموصل والعراق، في حين استولت بريطانيا على فلسطين والبصرة وجزء من بلاد الشام.

• ٤ **محمد عبده: يعد من أبرز دعاة النهضة العربية والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، كما أنه عالم دين وفقه ومجدد إسلامي. أسهم بعد لقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية في أواخر القرن التاسع عشر ترمي إلى النهوض بالأمة والقضاء على الجمود الفكري والحضاري.

• ٥ *** جمال الدين القاسمي: أحد رواد النهضة العلمية الدينية ببلاد الشام في العصر الحديث، وأحد أبرز رجال الدين في الربع الأول من القرن العشرين. تأثر في دعوته الإصلاحية بمقاربات محمد عبده ورشيد رضا، حيث كان يدعو للتجديد لفهم الدين واتخاذ الإسلام منارة توحيد لكل المسلمين، وعُرف بمواقفه المعادية لعملية التتريك التي ميزت سياسات الدولة العثمانية قبل أفولها.

بصفته المؤسس الفكري للقومية العربية رأى ساطع الحصري أن الانتماء القومي العربي أرقى من الولاء لمقومات الهوية الدينية، التي لن تؤدي إلا إلى إعادة إنتاج نماذج الصراع الطائفي والمذهبي في مرحلة تستلزم بناء ثقافة وعقلية الولاء التام للوطن.

• تعد التغرية الفلسطينية، وبداية الشتات واللجوء، منطلق تصاعد خطاب التخوين والصراع بين الزعامات العربية، بعد هزيمة ١٩٤٨ أمام العدو الإسرائيلي. بالتدريج، زادت خيبات القومية العربية، وأصبح التعامل بريية وانعدام ثقة بين القادة، ويمكن القول إن مأزق الشرعية قد اتضح من خلال رفض تحريك كل القوى العسكرية ضد إسرائيل، وظهور مطامع عربية حقيقية للاستحواذ على أجزاء من الأراضي الفلسطينية كما أول ذلك المفكر (Dawisha) ٤٢.

يؤكد المفكر حوراني (Hourani) أن حرب ١٩٤٨ بعثت برسائل سلبية للرأي العام العربي تجاه القيادات الوطنية، وأيضاً تجاه الأجناس البريطانية والأمريكية الداعمة لإقامة دولة إسرائيل في المنطقة، ولكن المفارقة أنها زادت من التمسك الشعبي بفكرة الوحدة القومية، والإيمان بضرورة تحرير فلسطين. ويجدر بالذكر أن هذه الحماسة الشعبية كانت تحركها القوى الإسلامية، وتعدّها جهاداً، وتعد استرجاع القدس مرتبطاً بعزة الإسلام والحفاظ عليه، في حين أن القوى القومية (خاصة عبد الناصر) كانت متهمه باستغلال الورقة الفلسطينية للضغط على الأردن ولبنان، خاصة خلال تدخله العسكري في اليمن ١٩٦٢ وقبل هزيمة ١٩٦٧، حيث انسلخت تدريجياً الحركة الوطنية الفلسطينية عن الوصاية الناصرية، ليس فقط لتطوير المواجهة مع العدو الإسرائيلي على النمط الكوبي (حرب العصابات)، بل أيضاً تعبيراً عن الرجوع للهوية الوطنية، ومن ثم فقد أدى تزايد الصراع بين القيادات القومية إلى تزايد الضغط الشعبي تجاه تحفيز النزعة الثورية والجهادية ضد الاستعمار الغربي والانحياز نحو المقاربة الاشتراكية (التأميم) الإصلاحات الاقتصادية/ النقابات العمالية/ العدالة الاجتماعية/ مقاومة الاستغلال الرأسمالي..).

• خلال هذه الفترة بين حرب ١٩٤٨ و١٩٦٧ ضد الكيان الصهيوني،

Rashid Khalidi, The Origins of Arab-1
Nationalism: Introduction in The Origins of Arab
Nationalism, ed. Rashid Khalidi, Lisa Anderson,
:Muhammad Muslih, and Reeva S. Simon (New York
.vii, (1991), Columbia University Press

٢-عزمي بشارة: (في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي)، مركز دراسات
الوحدة العربية، ٢٠٠٧.

Origins of Arab Nationalism". in *The*" (1991). Dawn, Ernest C-٣
Origins of Arab Nationalism, edited by Rashid Khalidi, Lisa
Anderson, Muhammad Muslih and Reeva S. Simon. New York:
.Columbia University Press

٤-ميشيل عفلق: (أسئلة وأجوبة عام ١٩٥٧). في سبيل البعث، ص ٣٣٥.

٥-عبد السلام ياسين: (الإسلام والقومية العلمانية)، دار البشير للثقافة والعلوم
الإسلامية، ١٩٩٥.

A History of the Modern Middle East (٢٠٠٤). Cleveland, William L-٦
.3rd ed. Colorado: Westview Press .East

Biography of an Empire: Governing (٢٠١١), Christine M. Philliou-٧
Ottomans in the Age of Revolution (Berkeley: University of California
(Press).

Origins of Arab Nationalism". In *The*" (1991). Dawn, Ernest C-٨
Origins of Arab Nationalism, edited by Rashid Khalidi, Lisa
Anderson, Muhammad Muslih and Reeva S. Simon. New York:
.Columbia University Press

Biography of an Empire: Governing (٢٠١١), Christine M. Philliou-٩
Ottomans in the Age of Revolution (Berkeley: University of California
(Press).

The Oxford Encyclopedia of the (1995), (ed-١٠
.p, ١. Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v

.١١١-١٠٥

Dawisha, Aheed. *Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair*. Princeton: Princeton University Press .٢٠٠٣

Nationalism and Rationality” Studies in” (٢٠٠٠), Michael Hechter-١٢
comparative International Development, vol ١,٣٥ .no

Korany, Bahgat. Arab Nationalism. In ESPOSITO, John. L. (ed.).-١٣
The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World. New York:
Oxford University Press, v ١, ١١٣-١١٦, ١٩٩ .p

Biography of an Empire: Governing (٢٠١١), Christine M. Philliou-١٤
Ottomans in the Age of Revolution (Berkeley: University of California
(Press

١٥-عزمي إشارة: (بعض تحديات تجديد الفكر القومي) ٢٠٠٨:

<https://goo.gl/tiADo5>

Propaganda by Proxy?: Britain, America,” (٢٠٠٢), Vaughan, James-١٥
Historical Journal of Film, “١٩٥٧-١٩٥٣, and Arab Radio Broadcasting
Radio and Television, Vol ٢٢, No ٢ .pp ١٥٧-١٧٢

The Oxford Encyclopedia of the (١٩٩٥), (ESPOSITO, John. L. (ed-١٦
Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v
.١١١-١٠٥

The Oxford Encyclopedia of the (١٩٩٥), (ESPOSITO, John. L. (ed-١٧
Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v
.١١١-١٠٥

Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair. Princeton: Princeton University
Press -١٨ (٢٠٠٣). Dawisha, Aheed

The Oxford Encyclopedia of the (١٩٩٥), (ESPOSITO, John. L. (ed-١٩

.p ,١. Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v
.١١١-١٠٥

The Making of an Arab Nationalist: (١٩٧٢) Cleveland, William L-٢٠
Ottomanism and Arabism in the Life and Thought of Sati) Al-Husri.
.Princeton: Princeton University Press

٢٠٠٠ Arab Nationalism: A History – Nation)) .Choueiri, Youssef M-٢١
.and State in the Arab World. Oxford: Blackwell

:Arabism after the Arab Spring(٢٠١١) .Christopher Phillips-٢٢
<https://goo.gl/mQvCQ1>

Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair. Princeton: Princeton University
,Press

Arab Nationalism: A History – Nation(٢٠٠٠) (,Choueiri, Youssef M-٢٤
.and State in the Arab World. Oxford: Blackwell

Arab Nationalism: A History – Nation (٢٠٠٠). Choueiri, Youssef M-٢٥
.and State in the Arab World. Oxford: Blackwell

:٢٦-عزمي بشارة: حول تحديات تجديد الفكر القومي العربي(٢٠٠٨):
<https://goo.gl/byJd٨k>

The Oxford Encyclopedia of the (١٩٩٥), (ESPOSITO, John. L. (ed-٢٦
.p ,١. Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v
.١١١-١٠٥

Arab Nationalism in the Twentieth Century:(٢٠٠٣). Dawisha, Adeed-٢٧
.From Triumph to Despair. Princeton University Press

The(١٩٩١) (, Khaldidi, L. Anderson, M. Muslih & R. Simon (eds-٢٨
.Origins o f Arab Nationalism, New York: Columbia University Press

The Oxford Encyclopedia of the (١٩٩٥), (ESPOSITO, John. L. (ed-٢٩
.p ,١. Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v
.١١١-١٠٥

Korany, Bahgat. Arab Nationalism. In ESPOSITO, John. L. (ed.).-٣٠

The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v, 116-113 .p, 199 .

٣١- مفيد الزبيدي: (موسوعة تاريخ المملكة العربية السعودية : الحديث والمعاصر)، دار المنهل، (٢٠٠٤).

The Oxford Encyclopedia of the (ESPOSITO, John. L. (ed-٣٢), 1995). Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v, 111-105 .p, 105-111 .

٣٣- إلهام محمد علي: (قمة «اللاءات الثلاثة»..حدث تاريخي أظهر قوة العرب أمام إسرائيل)، جريدة المحيط، ٢٠١٦.

The Oxford Encyclopedia of the (ESPOSITO, John. L. (ed-٣٤), 1995). Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v, 111-105 .p, 105-111 .

Khaldidi, L. Anderson, M. Muslih & R. Simon (eds.), *The Origins-٣٥ of Arab Nationalism* (New York: Columbia University Press, 1991).

The Oxford Encyclopedia of the (ESPOSITO, John. L. (ed-٣٦), 1995). Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v, 111-105 .p, 105-111 .

Dawisha, Aheed. *Arab Nationalism in the Twentieth Century: -٣٧ From Triumph to Despair*. Princeton: Princeton University Press, 2003.

Arabism and Islam: Stateless Nations (1990). Helms, Christine M-٣٨ and Nationless States. Mc Nair Papers, Washington: The Institute for National Strategic Studies, n, 3-49 .p, n

Arabism and Islam: Stateless Nations (1990). Helms, Christine M-٣٩ and Nationless States. Mc Nair Papers, Washington: The Institute for National Strategic Studies, n, 3-49 .p, n

Dawisha, Aheed. *Arab Nationalism in the Twentieth Century: -٤٠ From Triumph to Despair*. Princeton: Princeton University Press, 2003.

Arab Nationalism: A History – Nation (٢٠٠٠). Choueiri, Youssef M-٤١
.and State in the Arab World. Oxford: Blackwell

Arabism and Islam: Stateless Nations (١٩٩٠). Helms, Christine M-٤٢
and Nationless States. Mc Nair Papers, Washington: The Institute
.٤٩-٣ .p ,١٠. for National Strategic Studies, n

٤٣-عزمي بشارة: (بعض تحديات تجديد الفكر القومي)، (٢٠٠٨):

<https://goo.gl/ti8Doo>

The Oxford Encyclopedia of the (١٩٩٥), (ESPOSITO, John. L. (ed-٤٤
.p ,١. Modern Islamic World. New York: Oxford University Press, v
.١١١-١٠٥

Dawisha, Aheed. *Arab Nationalism in the Twentieth Century: -٤٥
, From Triumph to Despair*. Princeton: Princeton University Press
.٢٠٠٣

: Arab Nationalism . (٢٠١٠). Kramer, M-٤٦

<http://www.martinkramer.org/sandbox/wp>

The “Arab Spring”: Rebirth of Final Throes of . (٢٠١١). Tamlali, Y-٤٧
: Pan-Arabism? Heinrich Böll Stiftung

<https://goo.gl/JQixtj>

Reflections on Ideology After the Arab (٢٠١٢). Sune Haugbolle-٤٨
: Uprisings

<https://goo.gl/xBAjM٢>

: Arabism after the Arab Spring (٢٠١١). Christopher Phillips-٤٩

<https://goo.gl/XgBQfz>

القومية في المنطقة العربية الواقع .. والمستقبل



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافي.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.
- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.
- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

١. الأبحاث والدراسات:

حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص المركز، وهي:

- الدراسات السياسية.

- الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.

-الدراسات الحضارية والتنمية.

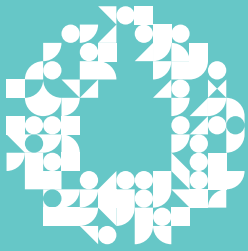
- دراسات الفكر الإسلامي.

٢. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدِّد المهارات.

٣. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

   fikercenter

+90 535 320 46 03
+90 212 70 77 79

info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com